مئة سنة

في خدمة الرسالات الكاثوليكية

نظر اجمالي للاب لويس شيخو اليسوعي

سبق لنا في الشرق (١٥ [١٩١٢] : ٦٧٣–٦٨٨) وصف شركة انتشار الايمان وترجمة حياة منشئتها المكرَّمة پولين جاريكو الفتاة الشهمة المولودة في ليون سنة ١٧٩٩ والمنتقلة الى جوار ربّها في ٨ ك ٢ ١٨٦٢

وفي ٣ أيار من السنة الحاضرة تحتفل هذه الشركة بتذكار يوبيلها المئوي فلا يسعنا ان نسكت عن خدمها العديدة نحو العالم باجمعه وخصوصاً نحو شرقنا العزيز

لا حاجة الى تفصيل انشاء الشركة المذكورة وبيان نظامها ونموّها بعد مقالتنا السابقة. وانما نذكر هنا بالاجمال الاعمال العجيبة التي تمّت بفضلها

كانت الرسالات الكاثوليكيّة قد أُصيبت بضربة كادت تكون القاضية عليها بعد الثورة الفرنسويّة العظمى وانقلاب الدول بسببها ولاسيّما بعد الغاء الرهبانيّة اليسوعيّة التي كانت تخصّ نحو اربعة آلاف من ابنائها لتبشير الامم المنكبّة في ظلام الوثنيّة . فكان هبط عدد المرسلين في غرّة القرن التاسع عشر الى ٣٠٠ مرسل فقط في انحاء البلاد الاجنبيّة

فلمّا عاد السلام الى العالم في العشر الثاني من القرن التاسع عشر واحيا البابا بيوس السابع رهبانيّة مار اغناطيوس سنة ١٨١٤ وانشئت عدّة جمعيّات رهبانيّة على مثالها متّقدة بنار غيرتها لم يرَ اصحابها بدّاً من تلبية دعوة الله تعالى حيث يقول «اذهبوا وتلمذوا الامم كلّها»

على انّ تلك الرسالات تقتضي نفقات طائلة لمعاش المرسلين واسفارهم وسكناهم ولبناء كنائسهم ومستشفياتهم ومدارسهم ولمساعدة فقرائهم . فمن اين لها المبالغ العظيمة التي تحتاج اليها لتقوم بواجباتها؟

كان الملوك الكاثوليك يمدّون سلفاً تلك الرسالات بالمساعدات الماليّة للقيام باعمالها

الّا انّ الجمهوريّات التي قامت بعدهم قطعت عن المرسلين تلك الارزاق فلم يبقَ لسدّ تلك النفقات الّا تبرّعات المؤمنين فألهم الله حينئذٍ الفتاة پولين جاريكو بان تجمع من عمّلة مصنع ابيها عشر بارات في الاسبوع اعني فرنكين و ٦٠ سنتيماً في السنة فاسرعت الى اخراج هذا الفكر الى حيّز العمل فامكنها في آخر سنة ١٨١٩ ان تجمع ٢٠٠٠ فرنك ارسلتها الى جماعة الرسالات الاجنبيّة لتُنفق في مشاريعهم الرسوليّة

فكانت تلك حبّة الخردل الصغيرة اوّل بذار لشركة انتشار الايمان ورأى فيها رؤساء الكنيسة شاهداً على إصبع الله وعنايته الصمدانيّة . وفي يوم عيد اكتشاف الصليب المقدّس ٣ ايّار سنة ١٩٢٢ تنظّمت هذه الشركة بمساعي اثني عشر شخصاً من كاثوليك ليون كأنّ الله اراد في ذلك الموسم ان تفيض بركة صليبه المحيي على العالم فتنبجس ينابيع جديدة من النعم لخلاصه

والحقّ يقال انّ هذه الشركة التي قطعت اليوم هذا الشوط النوي البعيد قد انهضت الرسالات الكاثوليكيّة من حضيضها واغنت العالم بكنوز التمدّن الانجيلي ونشر انوار الحقائق المسيحيّة التي اتى بها على الارض ابن الله ليشير بها سائر المخلوقات

وهذا فصل موجز يوضح لكل ذي بصر ترقي الشركة المذكورة في ختام قرنها الاوّل . كان مجموع مدخولها كما سبق في سنتها الاولى القي فرنك ثم لم يزل يترقّى متواصل حتّى بلغ سنة ١٩١١ كما رويناه ٢٦٤،٢٧٤،٧ فرنكاً ثمّ جاءت الحرب الكونيّة فهبط المجموع الى ٥،٥٩٢،٦٤٢ ف لكن ذاك الهبوط لم يلبث ان عاد الى الرقي فكان مدخول سنة ١٩١٨ ٨،٠٠٥،٧٠٥ ف ثم ٢٥،٢٥٣،٧٥٢ في السنة ١٩١٩ وكان لدى الشركة في السنة ١٩٢٠ ٢٠،٥١٦،٥٨٩ فرنكاً وكفى بهذه الارقام دليلاً على نجاح هذا المشروع الذي اشبه اعمال الله الخفيرة في مبادئها العظيمة في اطوارها المتوالية

امّا مجموع ما حصلت عليه الشركة في هذه السنة المئة لانشائها فيبلغ خمسمئة مليون فرنك انفقت في كل اعمال المرسلين الخيريّة . والفرنسة في هذا المجموع للسهم الاوفر فانّ بنيها كالوف هاجتهم بذلوا مالهم بسخاء في هذا المسعى الجليل وكاد يبلغ ما صرفوهُ دون سواهم من الدول ثلثمئة مليون فرنك

وماذا تحوي الآن بالآثر العجيبة التي اثمرتها تلك الملايين . واوّل ما يجب اعتباره

العدد العديد من المرسلين الذين هجروا بلادهم لينشروا في كلّ اقطار المسكونة ايمان المسيح وتعاليمهُ الخلاصيَّة وقد قلنا انَّ عددهم كان سنة ١٨٠٠ هبط لسوء احوال الزمان الى نحو ثلثمائة وهم اليوم خمسون الفاً من الرجال ما بين كهنة ورهبان . ولم يوجد راهبات في ذلك الوقت في الرسالات وهنَّ اليوم نحن خمسين الفاً ايضاً . امَّا مجموع الذين اصطبغوا بمياه المعموديَّة ومجّدوا الله وابهجوا الكنيسة باعمالهم الصالحة فيقيف على عشرين مليوناً اكتسبهم المرسلون بعرق جبينهم بل بسفك دمائهم فانَّ النشرات الاسبوعيَّة التي تنشرها شركة انتشار الايمان في ٢٥ لغةً هي حافلة بأخبار جهادهم واتعابهم ووفياتهم بين اصناف العذابات بين الامم الهمجيَّة وجماهل آسية وافريقية وجزائر اوقيانية يرحلون الى تلك البلاد القاصية لا سَنَدَ لهم من قِبَل دول العالم ولا رجاء لهم الَّا في الله حاملين صليب المسيح كلوائهم مؤملين به الانتصار على كلّ اعدائهم يعضدهم شعار صليب قسطنطين: «بهذه العلامة تنتصر»

وان شئت ان تقف على بعض اعمالهم فدونك مثالاً منها يثبت ما لهؤلاء الابطال من الفضل في تمجيد الله وخدمة الدين المستقيم. كانت الصين في السنة ١٨٢٢ لا يرى في كل نحوها الَّا بعض الشرات من المرسلين وبضعة الوف من النصارى مشتَّتين مضطهدين في اسوإ الحال. وفي الصين حاضراً ٥٢ نيابة رسوليَّة و ١٤١٧ كاهناً من الجمعيَّات الاوربيَّة ثم ٩٨٣ كاهناً وطنيًّا وعدد المؤمنين يُربي على المليونين ما خلا ٥٠٠،٠٠٠ من طالبي العماد المستعدّين لقبوله

كان عدد المتكثلكين في كورية واليابان في اوائل القرن التاسع عشر لا يزيد عن عشرة آلاف وهو اليوم لا يقلّ عن ١٧٠،٠٠٠ مع انَّ حرّية الدين لم تُمنح للاهلين الَّا منذ ٣٠ سنة

كان الكاثوليك في الهند قبل مئة سنة نحو نصف مليون ليس لهم الَّا وئيس اساقفة وثلثة اساقفة ونائبان رسوليَّان يبشّرهم ٢٢ من المرسلين الاوربيين مع ٤٠٠ كاهن من ابرشيَّة غوا واليوم يبلغ عدد الكاثوليك ٢،٣٠٤،٨٠٦ وهناك ٣٦ ابرشيَّة و ٢،٣٠٠ كاهن من رهبانيَّات شتَّى

وكذلك الهند الصينيَّة كان عدد الكاثوليك ٤٠٠،٠٠٠ ترهقهم انواع المصادرات والعذابات والموت . وبعد مائة سنة قد نما عددهم حتَّى بلغ اربعة اضعافه فهم اليوم

١،٢٠٠،٠٠٠ نفس لا تأخذهم في تأدية فرائضهم الدينيّة لومة لائم

كانت افريقية المركزيّة والجنوبيّة في اوائل القرن التاسع عشر مجاهلَ لا يُسمع فيها اسم الدين النصرانيّ ويبشر اليوم في انحائها مرسلون من ٢٩ رهبانيّة من الرجال تساعدهم في اعمالهم ٢٥ رهبانيّة نسائيّة تحت ادارة ٨٥ نيابة رسوليّة وينيف عدد المتنصّرين على مليون من المؤمنين الراسخين في تعاليم الدين والممارسين لواجباته

وقس عليها جزيرة مدغسكر التي كان اهلها يجهلون تماماً الكنيسة الكاثوليكيّة قبل ثمانين سنة وهي الآن من ازهر الرسالات وارقاها بهمّة الآباء اليسوعيين واللعازريين وغيرهم من المرسلين

وما قولنا باوقيانية وجزائرها وباوستراليا وزيلندة الجديدة. فانّ اوستراليا لم تحتوِ على غير كاهنٍ واحد الى سنة ١٨٣٠ مستخفياً لمساعدة المنفيين من الارلنديين ولم يكن في كل اوستراليا ولا كنيسة واحدة . واليوم في اوستراليا وزيلندة تسعة رؤساء اساقفة و ١٩ اسقفاً و ١،٥٠٠ كاهن من الوطنيين والمرسلين يخدمون ٢،٢٠٠ كنيسة او معبد والكاثوليك يزيدون عن ١،٢٠٠،٠٠٠ مؤمن. امّا الجزائر الاوقيانيّة فيبشر فيها المسيح من اهلها ٦٠٠ مرسل تحت ولاية ٢٨ نيابة او وكالة رسوليّة. وقد بلغ عدد المتنصّرين ٢٧٠،٠٠٠

وليست الكنيسة الكاثوليكيّة في اميركة الشماليّة وولاياتها المتحدة اقلّ نموّاً وازدهاراً ان لم نقل انّها اصابت قصب السبق على غيرها. فانها في السنة ١٨٢٢ كان عدد ابرشيّاتها تسعة لكل ابرشيّة نحو ١٢ كاهناً وعدد الكاثوليك لا يتجاوز ٤٠٠،٠٠٠ . وفي الولايات المتحدة اليوم ١٦ رئيس اساقفة و ٩٣ اسقفاً و ٢١،٦٥٠ كاهناً و ١٨،٠٠٠،٠٠٠ من الكاثوليك . يُضاف اليهم في جهات كندا ثلثة ملايين غيرهم (ولم يكونوا قبل مئة سنة الّا ٥٠٠،٠٠٠) يرعاهم ٣٨ اسقفاً وبضعة آلاف من الكهنة

واوربّة نفسها تمتّعت بثمار الرسالات الكاثوليكيّة في ممالكها البروتستانيّة . فانّ في انكلترّة مع بلاد الغال واسكوتلندة كان الكاثوليك ١٢٠،٠٠٠ فقط سنة ١٨٢٢ وهم يُحصون حاضراً في عدد ٢،٦٠٠،٠٠٠ اعني نحو ٢٢ ضعفاً على عددهم السابق

وكذلك هولندة ازداد فيها عدد الكاثوليك تسعة اضعاف فكانوا في السنة ١٨٢٢ ٢٥٠،٠٠٠ وهم اليوم ١،٩٥٠،٠٠٠ وترقى عدد الكاثوليك في المانية الشمالية البروتستانية من ٦٠،٠٠٠ الى ٤٠٩،٠٠٠ وكان الكاثوليك في اسرج وزوج مئة ليس ألا وهم اليوم ٥،١٤٧ ومثلهم كاثوليك الدانيمرك كانوا ايضاً مئة فقط وعددهم الحاضر ٨،٧٨٠

على انَّ هذا النموّ العجيب في كافة اقطار المسكونة لا بُدَّ ان تُعتبرَ معهُ المنشآت المتعدّدة التي ترفقهُ كالالوف المؤلفة من الكنائس الكبرى والصغرى والمعابد والمصلّيات وكالعدد غير المحصى من المدارس الجامعة والكلّيات المختلفة والمكاتب الثانويّة والابتدائيّة فيها الملايين من الاحداث الصبية والفتيات وكالمشروعات العلميّة والفنيّة والصناعيّة من مراصد ومطابع وغير ذلك . ولاسيّما المشروعات الخيريّة كالمستشفيات والمستوصفات والميامّ والملاجئ . فانّ لشركة الرسالات الكاثوليكيّة الايادي البيض في انشاء كلّ تلك الاعمال الجليلة التي يظهر فضلها على الرسالات البروتستانيّة كفضل الشمس على نور السراج مع انَّ مجموع ما ينفقهُ البروتستانت سنويًا على رسالاتهم يزيد على مئة مليون من الفرنكات فلا تأتي من الثمار بمُشر ما تبلغهُ الكنيسة الكاثوليكيّة

فبارك الله في تلك الفتاة التي ألهمها الروح القدس بانشاء هذه الشركة وجازاها كل خير وامتعنا الرب بنظرها قريباً مكرّمةً على هياكلنا بانتظام اسمها بين اولياء الله خاتمين هذه النبذة بتقدمة تهانئنا في هذا الموسم الجليل لرئيس شركة الرسالات الكاثوليكيّة وكلّ اعضاء لجنتهِ الكرام ومحرّضين كاثوليك الطوائف الشرقيّة بان يساعدوا هذه الشركة طاقة جهدهم فينالوا حظهم من نعم ابي الانوار الذي لا يبخل عن مجازاة فلس الارملة وقدح الماء البارد المعطى باسمهِ